

المقدمة

فكرة إحياء مائة عام على ميلاد العلامة البيهاني

أ. د. عبد العزيز صالح بن حبتور

رئيس جامعة عدن

كل أمم الأرض تتباهى بعلمائها وشعرائها ومفكريها، واليمن لن تكون الاستثناء من هذه القاعدة؛ فالشيخ الجليل هو واحد من أهم رواد التنوير في اليمن وذاع صيته في بلدان عديدة وأضحت كتبه متداولة في عالمنا الإسلامي، وما زال صوته رغم مرور عقود من الزمان مدويًا عندما تستمع إليه وهو يصدح بسيل الخطب والبرامج الإعلامية والمقالات والمقابلات والفتاوى والاجتهاد.

فعندما تسمع صوته من المذياع أو من آلة التسجيل وهو يتحدث في أي موضوع كان، تشعر وكأنه إنسان يعيش معك يناقش قضاياك ويهتم لأمرورك، هذا التراث الكبير يحتاج لإعادة صياغة ونشر وإيضاح. هذا العمل يحتاج لعقول نيرة وأقلام حرة وقلوب مبصرة كي تعيد الأمور إلى نصابها لكي تعيد العالم الجليل إلى موقعه الطبيعي للأمة، فتراث العلماء هي الطاقة الروحية الهائلة الدافعة لأمتنا العظيمة من المحيط إلى الخليج نحن بحاجة إلى هذا التراث العلمي الفقهي الوسطي لإيقاظ وعي الأمة ونفض غبار التخلف الذي جثم على رؤوس مواطنينا في العالم العربي لقرون خلت، نحن نحتاج للوقود المحرك لماكينة الشعوب من أجل العمل والعمل الجاد الصالح كي نحارب التلوث الرهيب الفقر والجهل والمرض وهو منتشر للأسف في عالمنا العربي، وهو عيب الإنسانية جمعاء ونقطة ضعف الحضارة العالمية في القرن الواحد والعشرين.

إن العلامة الجليل البيحاني هو واحد من هؤلاء الكبار الذين يستحقون هذا التبريل الأكاديمي في واحدة من صروح العلم والمعرفة في بلادنا وجامعة عدن معنية بإيقاظ هذا التراث الكبير وإحيائه، والتعمق والتفكير في أداء هذا العالم الجليل ومحاولة صياغته منهجياً كي تستفيد الأمة من هذا الإنتاج الإبداعي الهائل.

المؤسسات العلمية هي المعنية بدراسة تراث العلماء المجتهدين ومن أفنوا حياتهم خدمة للعلم والمعرفة والأمة. وهذا جزء مهم من مهام الجامعة وهو خدمة المجتمع بكل أطيافه وألوانه.

مرور (100) عام على ميلاد العلامة البيحاني مناسبة استثنائية من المناسبات التي نقف فيها جميعاً أمام عطاء وكتب وفكر الرجل، لأن هناك أحداثاً تاريخية مهمة من حياة العلامة ومحطات مرت بها الأمة، وهي حرية بنا أن نقف موقف المحلل الحيادي إلى جانب العلم والاجتهاد والتراث الغزير.

من هو العلامة البيحاني؟

بطبيعة الحال أجابت عن هذا السؤال العديد من الدراسات المقدمة لندوتنا هذه وكذلك الأبحاث والدراسات التي كتبت في الندوات السابقة وفي الجامعات وفي وسائل الإعلام عن هذه الشخصية الاستثنائية الموسوعية.

نقيم له الندوة هذه لأنه ألف أكثر من ستين كتاباً وبحثاً، إضافة إلى سيل الخطب الدينية والثقافية والسياسية بالمساجد والمنتديات، ومئات البرامج الإذاعية في كل من عدن وصنعاء والسعودية وفي بعض دول الخليج، وله العديد من المقابلات الصحفية، وكان عضواً فاعلاً في العديد من الأندية والجمعيات والمجالس الشرعية في عدن بلغت ما يربو على (17) موقعاً.

وسافر إلى عدد من البلدان، في القرن الأفريقي ومصر والسعودية والكويت وقطر والبحرين، وكان في كل أسفاره ينشر الدعوة لدين التسامح والوسطية ومحاربا الغلو والتطرف. وإضافة إلى جمعه المال من أهل الخير والتقوى لإعادة بناء المساجد ومنها مسجد العسقلاني ومعهد البيحاني الإسلامي العلمي، وقد تنوع العالم الجليل في إبداعه، إذ ألف قصيدة مطولة يحكي فيها تاريخ أمة بكاملها منذ ميلاد الرسول (ﷺ) وحتى عهدي التشطير في اليمن مكونة من (4300) بيت.

هذا الثراء في العطاء وهذا التوسع في الإنتاج الفكري وهذا الموقف الصائب من الأحداث والمواقف يؤهله إلى تبوؤ هذه المكانة الرفيعة بين العلماء الكبار في عالمنا الإسلامي، وإن كل هذا التراث قد اختفى لردح من الزمان أي ما يقارب ثلاثة عقود هي عمر سيطرة الفكر والسلوك الشمولي وسيطرة ثقافة الإقصاء والاستئصال.

وفي تلك الحقبة لم نعد نسمع بعلماء الدين، لم نسمع عن العلامة البيحاني ولا عن العلامة باحميش ولا العلامة أحمد كعيتي المحضار ولا العلامة العطاس ولا العلامة الحداد ولا عن العلامة أحمد محسن الجنيدي، ولم نعد نسمع إلا الأسماء السلافية والأوربية الأخرى، وتم حشو أذهاننا وأفكارنا بتواريخ ميلادهم ويطولاتهم ومناقبهم. هذا هو إنجاز السياسة والفكر الشمولي الإقصائي في جنوب الوطن آنذاك.

وبذلك هناك سبب ذاتي وموضوعي يدفع بالوطن ومؤسساته العلمية والثقافية إلى نفض غبار الزمان عن هؤلاء المجتهدين وإبراز جواهرهم وكنوزهم، والعلامة البيحاني أحد أهم هؤلاء الرواد في التنوير الديني.

كيف كانت رحلة الشيخ العلامة البيحاني؟

لم يولد كفيف البصر والنظر والرؤية، بل تعايش مع ومضة الشعاع ووهج الضوء وقدح الشرر حتى سن الخامسة من عمره، كما ورد في أكثر من مصدر، وكان العلامة يحدثهم عن تلك الأيام ويتذكر غروب الشمس

وكانه رآها البارحة يا سبحان الله! وهذه حكيمته الخالدة متروكة للتأمل والتفكير والتبصر من عظمة خلقه وإبداعه، إذ أخذ منه نور العين والنظر وحباه الله بوهج البصيرة والحكمة والفتنة، حرمة النظر وأعطاه ما لم يعط مبصر، أعطاه العقل والبصيرة والفكر الثاقب في علوم القرآن والتفسير والحديث والعقيدة والشعر والعمل الإنساني، أخذ منه الجزء الفاني في الحياة الفانية ووهبه العلم النافع الذي خلد به اسمه وطلابه وشيوخه وأمته ووطنه، أليست كلها حكماً ومواعظ للتفكير أولي الألباب.

انطلق من بيحان القصاب (شبوّة) بعد أن تربي في بيئة علم وورع وتقوى وانتقل إلى تريم حضرموت ونهل العلم الشرعي منها على يد شيوخه الأفاضل الأكارم أبرزهم :

- الشيخ / عبدالله بن عمر الشاطري
 - الشيخ / عبد الباري بن شيخ العيدروس
 - الشيخ / سعيد بن عمر باغريب
 - الشيخ / محمد بن سالم السري
 - الشيخ / علوي بن عبد الرحمن المشهور
 - الشيخ / علوي بن عبدالله بن شهاب
- وفي تلك الفترة زامل علماء أفاضل منهم :
- السيد / حسين بن محمد بن محمد بلفقيه
 - السيد / زين العابدين بن جنيد
 - السيد / عمر بن علوي السقاف (معلمه في الفرائض)
 - السيد / عمر بن عوض الحداد (معلمه في النحو)

وفي حضرموت نهل العلم من أصوله واقترب من هؤلاء الفقهاء، الذين كما يقول في أكثر من موقع، فتقوا لسانه على الآيات البينات من القرآن الكريم ومن الأحاديث النبوية الشريفة ومن المصادر الإنسانية في العلم

الشرعي، لأن تريم حضر موت ثالث أهم مدن العلم باليمن، إذ كانت تريم وصنعاء وزبيد هي مدن علم وفقه وتشريع إسلامي حنيف، عاد بعدها إلى بيحان ومكث بها عامين يفيد من علمه المكتسب ويفيض على الناس من غزارة عطائه المتدفق .

ولأن بيحان المدينة والمنطقة لم تستوعب كل هذا العطاء الوافر لفته وفكر البيحاني لصغر المدينة ومحدودية عدد الناس بالمنطقة ، انتقل إلى عدن لينفتح له مجال أرحب وأفق أوسع للعطاء الذهني الغزير.

التقى مع العلامة أحمد محمد العبادي وتعلم منه واستفاد من علمه الواسع، ولكن كانت كريتير المدينة القديمة وأعيانها رحبوا به وطلبوه ليقوم على أمر المسجد العسقلاني، واحتفى به أعيانها ومثقفوها مواطنوها وكان من أبرز وجهائها آنذاك:

الشيخ / محمد عمر بازعة

الشيخ / علي محمد ذبيان

بعدها انتقل العلامة إلى مدينة القاهرة مدينة العلم والنور والأزهر الشريف، وهناك نال الشهادة العالية من الأزهر الشريف، والتقى وزامل العديد من المفكرين أمثال طه حسين وعباس محمود العقاد وخالد محمد خالد ومن اليمنيين التقى وزامل أبا الأحرار محمد محمود الزبييري والأستاذ المفكر السياسي / محمد أحمد النعمان، بعدها عاد إلى عدن وقد جمع في رحلته الممتدة من بيحان وتريم وعدن والقاهرة ثم عدن هذه الرحلة الممتدة لآلاف الكيلومترات. ومع تنوع المصادر العلمية وكذا تنوع المدارس الفقهية كونت لدى البيحاني مدرسة مستقلة بها استطاع أن يميز ويكسب مدرسته بطابع خاص أبرز معالمها:

أولاً: لم يتعصب لفكرة محددة، بل وقف مع التسامح المذهبي والديني والطائفي ودعم مبدأ فكر التسامح ومحاربة الغلو والتطرف. يقول البيحاني في ربايعاته رقم (82).

ياسائلي عن مذهبي وعقيدتي وطريقتي قل لي: لماذا تسأل ؟
أتريد مني أن أكون مقلداً في الاعتقاد وما أقول وأفعل
أنا مسلم ومسلم لمحمد ولما به جاء الكتاب المنزل
مالي وللقوم الذين تفرقوا فمشبه ومعتل ومؤول

هكذا كان العلامة البيحاني مع مبدأ لا إفراط ولا تفريط في مبادئ الدين الإسلامي الحنيف.

ثانياً: عندما أسس معهد البيحاني الإسلامي العلمي أراد له أن يكون حاضناً مؤسسياً للفكر الذي تبناه والذي هدف منه قيام نهضة علمية دينية إسلامية ذات منهج وسطي تسامحي، لأنه عاش مرحلة الاستعمار الذي يظهر التسامح العلماني ولكن يبطن تفتيت الأمة ونسخ هويتها الحضارية الدينية والعربية، ولذلك جعل المعهد منبر إشعاع للتربية والفقهاء واللغة وهي مرتكزات قيام الأمم في أي مكان بالعالم.

ثالثاً: جعل المعهد ساحة تنوير لكل أبناء الأمة، ليس لأبناء شبة أو عدن وحدهم، بل إنه فتح أبواب المعهد لكل اليمنيين من كل المناطق ولكل المسلمين من أبناء مصر والصومال وأثيوبيا والسعودية ... إلخ.

رابعاً: جعل من مدرسته ساحة للإصلاح الديني والمجتمعي لكل المسلمين لم ينحصر ولم ينغلق، ونبذ بسلوكه فكر الطبقات الاجتماعية المتوارثة وعدم التمييز بين الأجناس والأعراف والمذاهب والملل والنحل، ينطلق من ممارسته هذه المهمة الشاقة من أصول ديننا الإسلامي الحنيف الذي لم يميز الأبيض عن الأسود إلا بالتقوى.

خامساً: الموقف من القضية الوطنية: كان الشيخ الجليل واضحاً في تحديد مواقفه الوطنية ولأنه عاش في مدينة عدن وكانت أثناء الحكم الاستعماري البريطاني ساحة سجالات سياسية وثقافية وفكرية بل وحزبية تجاه مختلف القضايا.

ولأن العالم الجليل ينظر بأفق وطني واسع حسم موضوع الوحدة
اليمنية المباركة بشكل مبكر وقال شعره المعروف:

شعب الجنوب وشعبي كله يَمُنُ ×××× من حضرموت إلى أقصى بني عبس
ولكن وفي وقت مبكر ثبت فهمه الشرعي للوحدة قبل تحقيقها بعقود.

سادساً: مدرسة السلف في الصبر والإيمان المطلق بأن لا يدوم الظلم إلى
ملا نهاية، وعندما تعرض العلامة إلى الإقصاء والتهديد والوعيد كغيره
من العلماء في العهد الشمولي، فضل المغادرة إلى شمال الوطن مدينة تعز
كمستقر له، حيث طاب له المقام والعيش هناك بين أهله ومريديه ومحبيه،
ولكنه كان على يقين بأن ليل الظلم الحالك زائل فقد قال:

نعم سنعود والدنيا بخير ××× وأمرك نافذاً ياذا الجلال
وشأن الحق أن يبقى طويلاً ××× وأما الشرف فهو إلى زوال
وكانت معضلة المجتمع والبيحاني معاً ذلك الفكر التشطيري
الشمولي الاستئصالي والحمد لله انتهى وتلاشى.

وفي خاتمة التقديم أود التسجيل هنا أن فخامة الرئيس علي عبدالله
صالح حفظه الله قد أعاد الاعتبار للعلامة البيحاني ومنحه المرتبة
المستحقة اللائقة به وأكرمه أثناء حياته في مدينة تعز وبعد أن تحققت
الوحدة اليمنية المباركة.

فجزاه الله ألف خير وجعله في ميزان حسناته بإذن الله.

والله ولي التوفيق